الآراء الـــواردة فـي الـصفـحـة تعبر عـن وجـهـات نـظـر كـتـابـهـا ، وقـد لاتـتـفـق بـالـضـرورة مـع وجـهـة نـظـر الـجـريـدة

الـتـوسـع الـرأسـمالي والـفـكـر الـسـيـاسي لـلـيـسـار الاشـتـراكـي

٢-٢

لطفي حاتم

الموضوعة الرابعة:.يشترط الكفاح الوطني لقوى اليسار الديمقراطي الأخذ بمنتجات فكرية أطلقتها العولمة الرأسمالية تتلخص في ثلاث دوائر أساسية الديمقراطية السياسية، حقوق الإنسان والقضية القومية.

على أساس تلك الموضوعات نحاول الانتقال من المفاهيم الفكرية العامة إلى تجلياتها الواقعية عبر مفاصل أساسية تشترط رؤية فكرية ناقدة للطور الجديد من التوسع الرأسمالي وتأثيراته في كثرة من الموضوعات منها: الدولة الوطنية وسلطتها السياسية. التشكيلة الوطنية وموقع اليسار فيها. فضلاً عن مضامين الفكر السياسي لليسار الديمقراطي.

قبل محاولة الخوض في تفاصيل المفاهيم المشار إليها نمر سريعاً على المصاعب الفكرية / السياسية وكذلك التنظيمية التي تواجه انطلاقة اليسار الديمقراطي والتي أراها في العناوين الرئيسية الآتية: ـ

العنوان الأول: . افتقار اليسار الديمقراطي لـرؤى فكرية تشكل حواضن لخطوطه السياسية، حيث لم يستطع مثقفو اليسار الديمقراطي إنجـاز صيغ فكرية تتعلق بالموقف من الدولة الوطنية ومسار تطورها الـلاحـق في إطـار التشكيلة الرأسمالية العالمية فضلاً عن طبيعة التشكيلة الوطنية المراد بناؤها.

إن سيادة صيغ الاعتماد على العقل القيادي لأحزاب اليسار الديمقراطي تتنافى وروح العقل الجماعي لهذه الأحزاب التي تواجهها مهام جديدة لا تستطيع عبقرية القادة المجربين أن تلم بجوانبها المعقدة التي تفرزها مسارات الحياة الفعلية.

العنوان الثاني: . اعتماد أحـزاب اليسار الديمقراطي على بنية تنظيمية أوامرية تنسجم والنزعة الانقلابية والتي أصبحت لا تـتـلاءم والـطـور الجـديـد من الكفاح الوطني الديمقراطي المرتكز على علنية الأهـداف وشرعيتها ناهيك عن ضرورة مشاركة القوى الاجتماعية الناشطة في صياغتها وتدقيقها.

العنوان الثالث: . غياب الكتلة الاجتماعية الساندة لبرامج اليسار الديمقراطي وذلك بسبب تشتت القوى الاجتماعية وتوزعها على تشكيلات جـديـدة طائفية / قومية فرضتها شعارات الليبرالية الجديدة.

أن تحديد المطالب الفعلية لكثرة من الشرائح والطبقات الاجتماعية المتضررة من النهج الجديد لليبرالية الجديدة يوفر لليسار الديمقراطي حرية الحركة في جذب أوساط اجتماعية مختلفة لرؤيته المستقبلية.

العنوان الرابع: . أنتجت مضامين الإعاقة المشار إليها نهوجاً سياسية تفتقر إلى تحديد الأهداف المرحلية وتعيين الوسائل الكفاحية ناهيك عن التوجه المنظم للقوى الاجتماعية وصياغة مطالبها الفعلية.

على أساس تلك الإشكالات لابد لنا من رؤية تحليلية ناقدة لبعض إفرازات الطور الجديد من العولمة الرأسمالية وما يشترطه ذلك من بناء نهوج سياسية ملائمة لمسار تطور العلاقات الوطنية / الدولية: .

أولاً: الدولة الوطنية

شهدت العلاقات الدولية كثرة من التغيرات السياسية يمكن تلخيصها بتنامي دور الشركات الدولية وانحسار مبدأ السيادة الوطنية بعد هيمنة منتجات الليبرالية الجديدة المتمثلة بحقولها الأساسية: .

أ:. الحقل الاقتصادي الهادف إلى إبعاد الدولة عن المشاركة في الحياة الاقتصادية / الخدمية وتحجيم دورها في الضمانات الاجتماعية ، فضلاً عن تبني الكثير من الدول الوطنية لوصفات الليبرالية الجديدة ودخول الشركات الاحتكارية الكبرى شريكاً خارجياً في التطورات الوطنية

ب: . الحقل العسكري المتمثل بإستراتيجية الضربات الاستباقية، التدخل العسكري للإطاحة بالأنظمة الاستبدادية، فضلاً عن سياسة الحصارات الاقتصادية.

ج: . الحقل السياسي المتسم بالتدخل في النزاعات الاجتماعية عبر مساندة الشرائح الاجتماعية الداعية للمشاركة الخارجية ومحاصرة الطبقات الاجتماعية المدافعة عن مصالح بلادها الوطنية.

إن الوقائع الجديدة في السياسة الدولية قادت إلى جملة من النتائج الفعلية لعل أهمها يتجسد في المعطيات التالية: .

المعطى الأول: . يسعى الطور الجديد من التوسع الرأسمالي إلى إعادة السيطرة على الدولة الوطنية عبر ما أسميته بازدواجية الهيمنة السياسية / الاقتصادية.(٥) وبهذا المسار وبسبب هشاشة الدولة الوطنية وتشكيلتها الاجتماعية فان مضمون التوسع الرأسمالي الراهن يتلخص في اختزال الدولة الوطنية إلى سلطة إدارية/ قمعية تفتقد الشرعية الوطنية الضامنة لموازنة المصالح الوطنية / الدولية وهنا يعاد تأكيد الموضوعة الماركسية القائلة (أن الدولة أداة قمع بيد طبقة ضد الطبقات الأخرى) وذلك بعد تجريف وظائفها الاجتماعية / الخدمية.

المعطى الثاني: . إن حركة قانون الاستقطاب الرأسمالي المتسمة . بالتفكيك والتهميش والمشاركة الخارجية في النزاعات الداخلية . أفـرزت أثـاراً متناقضة يمكن رصدها بالمتغيرات التالية: .

أ: ـ تفكيك القاعدة الاجتماعية لليسار الديمقراطي المرتكزة على الطبقات المنتجة من خلال عمليات تهميش كتلها الأساسية وما ينتج عن ذلك من تفكيك بنيتها الطبقية الأمـر الـذي يبرغمها على الانـخـراط في تـيـارات إسـلامـيـة وأخـرى إرهـابـيـة / فوضوية.

ب: .ظهور إصطفافات اجتماعية بين القوى الرافضة لمسار قانون الاستقطاب التخريبي (عمال، فلاحين، طبقات وسطى، طبقات برجوازية متوسطة) تقود إلى تناقضات طبقية جديدة بديلة عن التناقض الطبقي الذي اعتمده اليسار الاشتراكي في الحقب الماضية (طبقة عاملة وأخرى برجوازية) الأمر الذي يدفع اليسار الديمقراطي إلى تجميع القوى المناهضة لحركة رأسمال التدميرية في مسعى لعزل القوى الاجتماعية المتخطية لمصالح البلاد الوطنية.

على أساس تحليل طبيعة التغيرات الوطنية / الدولية التي أفرزها الطور الجديد من التوسع الرأسمالي أحاول إيراد بعض المنطلقات الفكرية السياسية زاعما إنها تشكل دالات مرجعية لنهوج اليسار السياسية: .

الدالة الأولى : ـ مناهضة ازدواجية السلطة (الوطنية) عبر تعزيز السيادة الوطنية التي تتعرض للقضم من خلال مشاركة خارجية اقتصادية عسكرية / سياسية بمعنى آخر تطوير الكفاح الوطني المناهض للهيمنة الأجنبية لغرض استعادة حرية القرار الوطني .

الدالة الثانية: ـ ينطلق الدفاع عن سيادة الدولة وبنائها الديمقراطي من مهمتين مترابطتين أولهما صيانة الثروات الوطنية التي تتعرض إلى السلب والاستنزاف بسبب هيمنة الشركات الاحتكارية الكبرى وتدخل المؤسسات المالية الدولية واشتراطاتها الهيكلية. وثانيهما الدفاع عن الحقوق الإنسانية للمواطن ذات الصفة الملموسة وليس الإنسان المجرد بمعنى الدفاع عن الحقوق الواقعية المستندة إلى رعاية الدولة ومؤسساتها الاقتصادية / الخدمية لهذا الإنسان المشخص وذلك تمشياً وشمولية وحدة المصالح الإنسانية في العلاقات الدولية.

أن الدفاع عن الدولة الوطنية الديمقراطية ورعايتها لحقوق المواطن ينقل اليسار الديمقراطي من مواقع أممية مثالية إلى مواقع وطنية ملموسة تساهم في بلورة فكر سياسي إنساني يشكل في نهاية المطاف أغـنـاء لحركة الـقـوى الأمـمـيـة الحقيقية الساعية إلى الـديـمـقـراطـيـة الإنسانية والعدالة الاجتماعية.

الـدالـة الـثـالـثـة: . انـتـقـال أحـزاب اليسار الديمقراطي من الفكرة الأيديولوجية الهادفة إلى تسلم السلطة واحتكارها إلى المساهمة الهادفة إلى بناء سلطة الشرعية الوطنية / الديمقراطية المرتكزة على موازنة مصالح مكونات التشكيلة الاجتماعية الوطنية.

الدالة الرابعة: . تشترط مشاركة أحزاب الـيـسـار الـديـمـقـراطـي في الحكم تلبية جملة من المبادئ الأساسية منها تحقيق الديمقراطية السياسية عبر إطلاق فعالية منظمات المجتمع المدني، ومنها بناء الدولة وسلطتها على مبادئ الشرعية الديمقراطية وفصل السلطات، وأخرها صيانة مصالح الطبقات الاجتماعية المتضررة من التوسع الرأسمالي. (٦)

الدالة الخامسة: . الكونفدرالية العربية: . تنطلق رؤيتي لهذه الإشكالية السياسية من ملاحظات عامة تتلخص في جملة من المؤشرات منها: .

أ: . شكل مبدأ حق تقرير المصير في بداية القرن المنصرم الأساس النظري المتلائم وحركتين متعارضتين أولهما اندفاع رأس المال الأمريكي للخروج من إطاره القاري لغرض مشاركته الدول الأوربية الكبرى في اقتسام العالم من خلال مبادئ الرئيس ولسن. وثانيهما الأفكار اللينينية الرامية إلى تحقيق السيادة السياسية للشعوب بمعنى إقامة دول قومية بهدف محاصرة التوسع الرأسمالي ومساندة الثورة الاشتراكية الوليدة.

ب: .لم يعد مبدأ حق تقرير المصير بمعنى الانفصال وإقامة الدول الجديدة ملائماً لحقوق الإنسان السياسية / الاجتماعية الملموسة بسبب الطبيعة التخريبية لقانون الاستقطاب الرأسمالي، وما يحمله من مخاطر اختزال الدولة الوطنية إلى سلطة سياسية مزدوجة تعني بحماية مصالح التكتلين الداخلي والخارجي.

ج: وبعكس ذلك فان العودة إلى شعار الكونفدرالية العربية يستمد شرعيته التاريخية من جملة من المعطيات الجديدة أفرزها التوسع الرأسمالي أهمها سير العالم نحو بناء تكتلات اقتصادية كبرى وما يشترطه ذلك من مراعاة الحقوق الأساسية لمواطني الدول المنضوية في اتحادات فدرالية.

د: . يشترط برنامج اليسار المرتكز على الكونفدرالية العربية المبني على الديمقراطية والحكم اللامركزي معالجة القضايا القومية في أطار الدولة الوطنية والدعوة إلى موازنة المصالح القومية على أسس البناء الفدرالي لشكل الدولة المتعددة القوميات.

إن هذا الترابط بين الدعوة للاتحاد الفدرالي في الدولة الوطنية وبناء الدولة العربية الكونفدرالية الديمقراطية يضعف النزعات العنصرية للتيارات القومية التي مارست الاضطهاد بحق القوميات الغير العربية ويتماشى مع النزعات المنبثقة من طبيعة التوسع الرأسمالي المتسمة بميول الاندماج والحد من جوانب التفتت فضلاً عن إن هذا البرنامج يخلق الأسس الفكرية لتقارب التيارات القومية الديمقراطية مع الحركة اليسارية ويحقق التحالف التاريخي البديل عن التناحر المغلف بأطر إيديولوجية.

الدالة الخامسة:ـ موازنة المصالح الوطنية في العلاقات الدولية.

يرتكز الفكر الإنساني لليسار الديمقراطي على قاعدة موازنة المصالح الدولية / الوطنية بمعنى آخر التشديد على إن حقوق الإنسان ومساواتها ترتكز على بناء علاقات دولية متوازنة بين الدول الأمر الذي يشترط: ـ

× إدانة النزعات العسكرية و الوقوف بوجه سياسة الغزو والعدوان.

×× مناهضة سياسة الاحتلال والإطاحة بالدول الاستبدادية بحجة نشر الديمقراطية، ناهيك عن رفض المشاركة الخارجية في النزاعات الوطنية.

××× رفض استراتيجية الحروب الاستباقية وما ينتج عنها من تدمير البنى التحتية المنافية لحقوق الإنسان.

إن بناء العلاقات الدولية على أساس الديمقراطية وموازنة المصالح تتيح الفرصة لبناء أسرة دولية تنبذ العنف والديكتاتورية والإرهاب بأشكاله المختلفة وتسمح في تطوير الكفاح المطالب بوحدة مصالح التشكيلة الاجتماعية الدولية.

الهوامش

× يتمتع هذا البحث المكثف بأهمية بالغة حسب ما أزعم لسبب يتمثل في اعتماد كثرة من الأحزاب الشيوعية طريق التجديد الفكري والتنظيمي وما يشترطه ذلك من قيامها بدراسة نقدية لمسار تجربتها التاريخية بهدف تدعيم عملية التجديد الجارية ومواكبة التغيرات الدولية .

١: . دفعاً لتشابك المفاهيم نعمد هنا إلى استخدام مفهومين الأول منهما مفهوم اليسار الاشتراكي الشامل لكل الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية المتماثلة والمنتجات الفكرية / السياسية لثورة أكتوبر الاشتراكية بدأ من بناء الحزب الثوري، طرق تسلم السلطة السياسية وانتهاءً بطراز الدولة الاشتراكية وبناء منظومتها الاقتصادية / السياسية. والثاني منهما هو اليسار الديمقراطي المتكيف والرأسمالية المعلومة والباحث عن منظومة فكرية / سياسية تساهم في دفع حركته السياسية بعدة نظرية متجددة تعتمد الواقعية في تحليل الظروف التاريخية الملموسة.

٢: . إن المعالجة السياسية / النظرية القاصرة من جانب التيار القومي لفكر الوحدة القومية جاء بسبب عدم توقف القوميين العرب عند طبيعة التوسع الرأسمالي المرتكز على المنافسة وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين دوله الكولونيالية الكبرى وكذلك التشبث بأوهام الدولة العربية الواحدة.

٣: . انفرد الحزب الشيوعي العراقي بشعار (إتحاد فدرالي مع مصر) أبان نزاعاته السياسية مع التيار القومي برغم ارتباط ذلك الشعار بصداقة سوفيتية بمعنى أن ذلك الشعار لم يتبلور كاستراتيجية فكرية لمعالجة القضية القومية المتمثلة بكونفدرالية عربية على أسس ديمقراطية. وفي سياق حل المسألة القومية طور الحزب رؤيته السياسية لحل القضية لكردية في إطار فدرالية ضمن وحدة الدولة العراقية.

٤: . إن الوهم الأيديولوجي المتمثل بإقامة دولة عربية واحدة حملته أحزاب التيار القومي بمختلف أشكالها وقد تبدد ذلك الوهم عندما أشادت تلك الأحزاب سلطات سياسية تـتـركـز عـلـى الـقـمـع وقـوانـين الطوارئ وما نتج عن ذلك من خراب الدولة الوطنية وضياع منجزاتها الاقتصادية / الاجتماعية.

٥: . سبق وان طرحت موضوعة ازدواجية الهيمنة في عدة بحوث جرى نشرها في النهج، الثقافة الجديدة. وبهذا المسار لابد من التأكيد على أن ازدواجية الهيمنة سبق وان مارسنها الدول الكبرى في مرحلة المنافسة الرأسمالية لاقتسام العالم ولكن الجديد في هذه المرحلة هو إن تلك الازدواجية تتسم في مشاركة عدة دول وعبر شركاتها الاحتكارية في الهيمنة على الدولة الوطنية بمساعدة الحليف الداخلي.

٦: . من جانبي أفـرق بين الشرعيتين الشرعية الانتخابية التي تجريها السلطات الحاكمة لإضافة ديكور على عدم شرعيتها والشرعية الديمقراطية التي تستند إلى المشاركة الفاعلة من قبل الأحزاب والقوى السياسية التي تشكل المنظومة الأساسية للدولة الوطنية.

مـا الـــذي حـــدث لتصبح الحـيـــاة هـكـذا ؟

جمال ناجي

من الصعب أن نقر بوجود التفاتات ثقافية جادة للصياحات والأوجاع المنتشرة في مجتمعاتنا التي ننهل منها كتاباتنا وإبداعاتنا، إذ على الرغم من مظاهر التطور التي نتغنى بها أكثر مما يفعل الأفـارقـة في أعـيـاد « الكوانزا، الا أن إيقاع الحياة والزمن في غالبية القرى وأحياء البؤس في المدن بدأ يتراجع الى الوراء سنوات وعقودا ، وبات الناس يعانون حالات من الاغتراب تعيد الى الأذهان ما قاله الإمام علي من أن « الفقر في الوطن غربة.

من يـتـأمـل بـؤس الحـيـاة هذه الأيـام يكتشف العجب العجاب، فـقـد لجـأ الـنـاس إلى تقليص مستلزمات عيشهم حد الكفاف، ودبت الحياة من جديد في مهن كادت تنقرض، كتصليح الاحذية ولصق نعالها المفتوحة، وحياكة وتـرمـيـم الحـقـائـب المدرسـيـة، وتـأجـيـر الـبـدلات الرجـالـيـة في القرى والأحياء الفقيرة، وإعادة جلخ سكاكين المطابخ ، وبيع الكاز بصهاريج صغيرة تجرها البغال توفيرا للديزل، وبيع مدافيء السولار المستعملة الموقوتة التي قد تنفجر في أية لحظة او تسبب كوارث الإختناق، وقطع الأشجار من الساحات والغابات العامة وبيعها لاستخدامات التدفئة والطبخ في كوانين النار والمواقد، ومـداواة المرضى بالأعشاب الرخيصة والحجب والتهاليل ، ومعالجة المكتئبين بوساطة المشعوذين الذين يطردون الأمراض والأرواح الشريرة من الأبدان « بالصرماية « بدلا من المعالجة النفسية ، وزراعة الخضار في الحدائق المنزلية وعرصات البيوت ، ليس ترفا أو تقربا من الطبيعة ، إنما تحسبا من وعيد الجوع، ونكاية بالأزهار التي باتت ترمز الى البذخ ، بعد أن كانت مبعث إشراق صباحي للامهات اللواتي كن يعاقبن ابناءهن إذا قطفوا زهرة عن أمها الشجرة.

نساء الأرياف والأحياء البائسة عدن الى مزاولة مهام رتق ثياب الأبـنـاء والأزواج، ودرز ما تهتك من قمصانهم وسراويلهم وجواربهم، وعاد الرجال يفشون خلقهم بزوجاتهم وأبنائهم كلما ضاقت الحياة بهم، وعادت الطيور الى اوكارها حزينة متبرمة قبل انتهاء ساعات دوامها، بعد ان شح رزقها وعزت الفضلات التي اعتاد الانسان قذفها في خلاء الرحلات وفي اكياس القمامة التي لم تعد تحتوي سوى بقايا قيء الأطفال وأوراق رسوماتهم المزقة.

لقد تردت أحوال الناس، وحارت السنتهم في ما تقول ، وسجرت عيونهم بعد أن تشمعت جيوبهم وأكبادهم ، وتخثرت الدماء في شرايينهم، وتغلغلت الأورام في ابدانهم ، وفتحت صدورهم بالمناشير، وأشرعت قلوبهم للهواء الآسن في غرف العمليات، وتم احـتـجـازهـم في غـرف المستشفيات على ذمة الدفع بعد أن تبين إفلاسهم، وبات الفن والأدب والثقافة،والسياسة أيضا، مبعث تجاهل وسخرية في لجة التشابك العنيف والخطير مع الحياة، ذلك التشابك الذي أفسد معنى الحياة وحط من جلالها، وأعطب علاقات الـنـاس وأصـابـهـا بانتكاسات وتراجعات أدت إلى تسليمنا بتلك المقولة التي طالما كابرنا وشككنا بصحتها وهـي» ان الفقر يفرق الناس ويشتتهم.

ثمة صراع عنيف يمزقنا ويفصلنا عن أنفسنا، وننقاد اليه من دون ان نـدري الى ايـن سيوصلنا ! وهـو الـصـراع الـذي يـعـرفه كل الداخلين والخارجين ببدلاتهم الأنيقة من القاعات والصالات وورش العمل والـنـدوات التي تتحدث عن الثقافة أو الفن أو تنمية المجتمعات النامية، أولئك الذين يأنفون ويترفعون عن طرق أبواب الحياة البائسة، ويكتفون بـالحـديـث عـن جـمـاليـات المكان والـزمـان أو ضـرورات التنمية ومحدداتها النظرية ، بمنأى عن هموم الإنسان .

إذا لم تخني الذاكرة، فإنني أذكر بـأنـه كـان لـديـنـا فيما مضى من السنين والعقود بناء اجتماعي اسمه الطبقة الوسطى : أين ذهبت؟

جزر القمر ... بين الدوحة والكويت!

هاني الحوراني

طبعاً دولة جزر القمر عضو في جامعة الدول العربية، لكنها مثلها مثل جيبوتي، وربما أكثر منها هي بلد مجهول لأمة الضاد. فبرغم وقع اسمها الجميل على الآذان، وموقعها الجغرافي الفريد الذي يتوسط ما بين شرق افريقيا وجنوب الجزيرة العربية، الا أن المواطن العربي بالكاد سمع بها، وأشك في أن معظم المثقفين العرب، خاصة المتدفقين منهم حماسة قومية، يقلون جهلاً بهذه الدولة عن المواطنين العاديين.

وجزر القمر ليست عضواً حديثاً في جامعة الدول العربية، إذ انضمت اليها عام ١٩٩٣، بعد أن شهدت نحو عشرين انقلابا أو محاولة انقلاب، منذ استقلالها عام ١٩٥٧، أبـرزهـا تلك التي قادها المرتزق الفرنسي الشهير بوب دينار خدمة للمصالح الفرنسية. وبـرغـم أن القمم العربية تنعقد بوتيرة شبه سنوية إلا أن جزر القمر ومعها جيبوتي والصومال تتوارى عادة في ظلال القمم العربية، ولا يكاد يلحظ المتابع وجودها فيها، غالبا لأن الأضواء تتسلط على اللاعبين الرئيسيين في المنطقة، أو على ضحاياها الأوائل مثل فلسطين والعراق ولبنان.

لكن أحداث غزة الفاجعة أعطت جزر القمر فرصة نـادرة للظهور على واجهات القمتين العربيتين في الدوحـة والـكـويـت. فـالـعـدوان الاسرائيلي الأخـير على قطاع غزة وصمود أبنائها وبسالة مقاوميها أنطقت البشر والحجر، وهو ما تجلى في مظاهر النجدة والنخوة والتضامن التي دفعت بشعوب اسلامية وآسيوية وأمريكو-لاتينية وأوروبية وحتى قطاعات من الشعب الأمريكي، لتسيير المسيرات والانضمام إلى الاحتجاجات وحركات التنديد بإسرائيل وحماتها الأمريكيين والأوروبيين. ضمن هذا الإطار كان مفهوماً أن يحضر قمة الدوحة التشاورية رئيس دولة جزر القمر أحمد سامبي، اضافة إلى قادة آخرين من أندونيسيا والسنغال فضلاً عن تركيا. ولم نفاجأ، لذلك، بالظهور السياسي الدراماتيكي لجزر القمر في قمة الدوحة، وبعد ذلك في قمة الكويت.

الرئيس أحمد عبدالله سامبي ظهر أولاً في قمة الدوحة بجبته التقليدية وعمامته الملونة أنيقاً، مازجاً في ملامحه الدقيقة ولحيته المشذبة وبشرته القهوائية وزيه الوطني بين الملامح اليمنية الحضرمية والسواحلية أو الشرق افريقية. لكن وقعه الحسن على المشاهدين والاعلام بلغ ذروته حين أطلق العنان للسانه، الذي بز فيه أقرانه من العرب العاربة والمستعربة فصاحة وسلاسة وبلاغة في التعبير وإظهار العاطفة الجياشة تجاه أبناء غزة وقطاعها المنكوب. صحيح أن بلاغته تقليدية وفصاحته وإيقاع لغته تنتسب إلى عصر مهجور، لكنها كانت مشبوبة العاطفة وتقع موقعاً حسناً على آذان السامعين والمشاهدين، طالما أن الحدث يستثير العواطف ويستدعيها ويؤجج الحماسة والنخوة والنصرة. كيف لا، والخطاب الفصيح يأتيك من حيث لا تتوقع ... من جزر القمر!

"ما قصرت ،جزر القمر كما يقول الخلايجة، في محض دعمها وعواطفها للأخوة في غزة في القمة التشاورية، بل فاضت واستفاضت. وما أن غادرت الدوحة للمشاركة في قمة الكويت، حتى وجدناها في الجلسة الختامية للقمة في مقدمة المتحدثين القلة، بينما الأنظار مُسَلطة والأنفاس حبيسة بانتظار بيان القمة الختامي ومقرراتها العتيدة.

وكما هو حال الاعلانات "الذكية" في ساعة "الذروة" (بلغة التلفازات والفضائيات) جاء توقيت خطاب رئيس جزر القمر ناجحاً، بل ذروة في النجاح. كانت أنظار المشاهدين والمتابعين والمراقبين مشدودة إلى التلفاز، بانتظار أن يخرج عمرو موسى، أمين عام جامعة الدول العربية، اليهم بالبيان الموعود والمقررات التي تشفي الغليل، خاصة بعد أن صعّدت مصالحة اليوم الأول للقمة الآمال والتوقعات. لكن كان علينا أن نسمع أولاً كلمات عن مقررات ونتائج اعمال المنتدى الموازي للقمة الاقتصادية، بحضور للمجتمع المدني والقطاع الخاص، وهي سنة حميدة في القمم العربية، لكن الناس كانت بانتظار الحصيلة السياسية للقمة ولا ترغب بسماع شيء آخر، قبل الاستماع إلى عمرو موسى والبيان الختامي للقمة.

رئيس جزر القمر نجح، لأسباب علمها عند الله، في أخذ الكلام في هذا الوقت الثمين ليقوم بالتعريف بباده المجهولة من غالبية العرب، وليسترسل في التعريف والتسويق لجمالها الأخاذ وموقعها الفريد ولفرصها الاستثمارية، كرأس جسر بين عالم العرب وشرق افريقيا. ومثلما تجلى واستفاض في اظهار بلاغته وبراعته اللغوية في محض عواطفه لغزة واستنهاض الهمم لانقاذها، فقد وظف ذات الفصاحة والبراعة اللغوية في اسباغ صفات الجنة الأرضية على جزر القمر. وكلما اعتقدنا أنه أدى المطلوب وأكثر، عاد ليفيض من جديد ترويجاً وتسويقاً لبلده الساحر، في مفارقة عجيبة لم تألفها الحملات التسويقية، حيث يتحدث الرئيس ذرب اللسان عن جمال وسحر بلده الفائض، بينما العقول والقلوب تنفطر بانتظار الفرج العربي الموعود لأبناء غزة من محنتهم وفظاعة الدمار والقتل الذي حل بهم.

بين قمتي الدوحة والكويت مسافة ليست بالطويلة، لكنها كانت فرصة لنجومية مباغتة لدولة منسية على ضفاف المحيط الهندي، ما بين افريقيا وعالم العروبة، ولم تقصر في محض الغزيين حلو الكلام وطلاوة اللسان وفيض المشاعر التي تبرَع بها لغتنا العربية، الثرية بكل أنواع الثرثرة واللفظية والقدرة على تمويه الهوة بين القول والفعل. أما في الكويت فقد كان الوقت وقت "بزنس" تَنحَّت فيها قضية غزة جانباً لتشغلها مهمة التسويق والترويج لجزر القمر. كيف لا والقمة رسمياً هي قمة اقتصادية تنموية، فما الذي يمنع جزر القمر في ساعة الذروة، من إستنباح الفرصة الاستثنائية لاستدراج المزيد من الدعم من قادة العرب وحكوماتهم. وهو على كل حال طلب مشروع، إذا ما تعرف العرب على واقع شقيقة صغرى قصية جغرافياً عنهم، هي جزر القمر.

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com